

عنوان المداخلة: تدريس اللغة العربية للحلقة الأولى في التعليم الأساسي من خلال
مقاربة "التربية الكلية"

أ. د. نمر منصور فريحه

الجامعة اللبنانية

كلية التربية

تدريس اللغة العربية للحلقة الأولى في التعليم الأساسي من خلال مقاربة "التربية
الكلية"

تناول علماء النفس التربوي قدرة الطفل على التعلّم استناداً إلى سنّه ونموّه الفكري،
وأثروا بعدد كبير من النظريات والطروحات التي وجد أكثرها طريقه إلى الميدان
حيث طبقت بعض المجتمعات ما جاء فيها، كما أن بعضها لم يحظَ بفرصة التطبيق.
وهذا لا يعني أنه أقل أهمية أو صوابية، لكن قد تكون هناك صعوبات معينة في
تحويل النظري إلى واقعي.

واستناداً إلى نظريات بعض هؤلاء العلماء، فإن الطفل في سن الخامسة وحتى
التاسعة يتصرف بشكل كلي، بمعنى أن فعله أو ردة فعله تشترك كل فكره وحواسه.
فهو عندما يلعب بلعبة مثلاً، يكون تركيزه الفكري عليها، وإذا انشغل بموضوع ما
فمن الصعب أن يهتم بموضوع آخر في الوقت ذاته.¹ (انظر دكرولي) كما أن نموّه
يكون مترابطاً جسدياً وعاطفياً وفكرياً واجتماعياً. هذه الصفات ساهمت في إختيار
تعبير "كلي" للمقاربة المقترحة التي يتم تعليمه وتعلّمه بواسطتها.

¹ See J.Decroly and R. Buyse (1965). *La Fonction de Globalisation et de L'Enseignement*. Liege: Desoer,
(republished work).

وإذا انتقلنا إلى تجسيد ذلك في تعليم/تعلّم اللغة العربية، فكان الطرح الذي تناولته في كتابين حول الموضوع² هو أن نقدّم للطفل منذ الصف الأول الأساسي المعارف التي قسّمناها إلى لغة عربية، وعلوم، ودراسات اجتماعية، ورياضيات، ومهارات حياتية، أن نقدمها في كتاب واحد بواسطة نصوص موحدة حيث يتضمن كل نص أو درس عناصر من المواد الدراسية أعلاه. والغاية هي جعل اللغة العربية المحور الأساسي لعملية التعلم، بينما تُعطى باقي المعارف موقعها، لكنها في الوقت ذاته تخدم مهارات اللغة العربية.

غايات التربية الكلية:

تساعد هذه المقاربة المتعلم على:

-النمو جسديًا وفكريًا واجتماعيًا وعاطفيًا ودينيًا بشكل متكامل ومتوازن.

-اكتساب مهارات اللغة العربية

-اكتساب مهارات لغة أجنبية

-اكتساب معارف ومهارات من معارف أخرى غير اللغة

-اكتساب مهارات فكرية متنوعة

-العمل ضمن فريق

-النشوء في جو تعليمي إيجابي ومتفاعل

-تطوير قدراته الفنية

-التنشئة منذ صغره على حب الوطن واحترام الآخر

.....-

² -الكتاب الأول: التربية الشمولية والتجربة اللبنانية، 2003؛ والكتاب الثاني: التربية الكلية للتعليم الأساسي، 2008.

فالمنهج الكلي المنبثق عن هذه المقاربة يركز على نمو التلميذ ككل، وجعله عنصراً مشاركاً ونشطاً في الصف، وعضواً إيجابياً في بيئته المباشرة كالمدرسة والأسرة والحي والقرية. لذا تُربط المواضيع المعرفية بالعمليات الذهنية الإدراكية والتنفيذية التي يؤديها والتي تشكل مكونات في عملية نموه.

لماذا اللغة العربية؟

قبل الإجابة لا بدّ من ذكر أن هذه المقاربة لا تهمل اللغة الأجنبية، لكنها تعطي الأفضلية للعربية كونها اللغة الأم للبلدان والمجتمعات العربية. وسيتم التطرق للغة الأجنبية لاحقاً.

إن اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم، ولغة قومية لكل العرب بمختلف أديانهم. فتعلّمها هو واجب ديني، وواجب وطني قومي أيضاً. كما أنها اللغة الرسمية في الدول العربية، واللغة الرسمية في المعاملات الحكومية. وهي، لا اللهجات المحلية، توّحد النطق ووسائل التواصل الواضح بين العرب. فلكل هذه الأسباب تستحق هذه اللغة أن تُعطى الأهمية القصوى في عمل أي تربوي لجعل تعلّمها واستعمالها ممكناً وسهلاً وسليماً.

إن الإطلاع على الدراسات التقييمية لقدرات التلامذة العرب في اللغة العربية يبيّن أن معظمهم يعانون من ضعف قرائي ولغوي بشكل عام، ولأسباب عديدة، أهمها:

أ- لدينا في العالم العربي لغتان: العربية العامية، والعربية الفصحى حيث يتعلم الطفل الأولى منذ بداية نطقه، ويبدأ بتعلم الثانية عند ذهابه إلى المدرسة فقط. لكن تعلّم الفصحى لا تصطحبه فرص للتمرّن على اللغة في الشارع أو المنزل أو حتى في المدرسة ذاتها. فقليلاً ما نسمع مدرّس أية مادة أخرى مثل الاجتماعيات والعلوم والرياضيات يستعمل اللغة الفصحى أثناء الشرح أو النقاش. هكذا نجد العربية وكأنها يتيمة حتى في المكان الذي يفترض بها أن تسود.

ب- اهتمام الجيل الناشئ باللغة الأجنبية خصوصاً الإنكليزية مع الثورة التكنولوجية التي يعيشها العالم اليوم ما يجعله يهمل أو لا يعطي الوقت الكافي للغته كي يتقنها.

ج- أما السبب الثالث، والمرتبب بالثاني، فيعود إلى اشتراط أرباب العمل معرفة اللغة الأجنبية-وليس العربية- لقبول المرشح لوظيفة ما، وهذا يجعل التركيز في المدرسة والجامعة ينصب على اللغة الأجنبية.

د- ضعف طرائق تدريس العربية. فلم يتم العمل كما كان يُتوقع على تطوير هذه الطرائق ما جعل تقديم اللغة للمتعلمين جافًا وغير مشترك لهم غالبًا في الأنشطة الصفية.

هـ- عدم اهتمام أصحاب الشأن بهذه اللغة ما ساعد الآخرين على إهمالها. إضافة إلى اعتماد بعض الأنظمة التربوية مبدأ الترفيع الآلي لتلامذة الحلقة الأولى الذين يرفعون حتى ولو كانوا لا يحسنون القراءة. وهذا يراكم الضعف اللغوي لدى الطفل من سنة إلى أخرى.

و- قلة المطالعة التي تنمي مهارات اللغة. فهواية المطالعة ضعيفة في مجتمعاتنا، والوقت الذي نخصه للقراءة ضئيل جدًا قياسًا مع ما يخصصه الأوروبي أو الأمريكي أو الشرق آسيوي.

إن مخرجات هذا الواقع هو مستوى لغوي ضعيف لدى المتعلم في سائر المراحل الدراسية. وبما أن هذه الورقة تتناول التعليم ما قبل الجامعي، خصوصًا في الصفوف الأساسية الأولى، لذا لن يتم التطرق إلى مستوى اللغة العربية في المرحلة الجامعية.

إن هذا الواقع الذي وصل إليه التلامذة العرب دفعني إلى التفكير بوسيلة تربوية لتحسين طريقة تقديم اللغة العربية وتعلمها، خصوصًا وأني درّستها في الحلقين الأولى والثانية من التعليم الأساسي. وقد وصلت إلى تصوّر يقول بأن تعلم اللغة يجب أن يستند إلى المتعلم أولاً، والذي يحتاج إلى مدرّس يحسن توصيل المعلومة ومساعدته في اكتساب المهارة ثانيًا، وإلى مناهج مختلفة نوعيًا عن المؤلف، وكتب تعكس أهداف هذه المناهج ومحتواها.

وقد تمّت ترجمة هذا الأمر في لبنان من خلال التجربة التي سميت "التربية الشمولية". وقد حملت هذا الأسم لأن المركز التربوي كان ينفذ بالتعاون مع منظمة "اليونسيف" مشروع "التربية الشمولية"، والذي يهدف إلى زرع فكرة السلام العالمي بين المتعلمين حيث كان يتم تصميم وحدات دراسية تصب في هذا المنحى في الدراسات الاجتماعية أو العلوم أو اللغة، وغالبًا للصفوف العليا من التعليم الأساسي³. لذا تمّ الاحتفاظ بالإسم مع تغيير كلي في الغاية وجمهور المتعلمين. وقد أشرفت شخصيًا على وضع المناهج وتدريب المعلمين وطباعة الكتب والتطبيق كتجربة عندما كنت في موقع القرار (رئيس المركز التربوي للبحوث والإنماء (1999-2002)). كانت التجربة ناجحة، وما زالت التربية الكليّة أو الشمولية معتمدة في "مؤسسة المقاصد الخيرية"، ومؤسسة "المبرات" وهما مؤسستان ضمن القطاع الخاص، بينما تم تعليقها في المدارس الحكومية المشاركة بسبب مواقف سلبية من قبل الوزير ورئيسة المركز التربوي آنذاك.

أما في سلطنة عمان، فقد شاءت الوزارة تبني هذا المشروع بعد أن تأكدت من نجاحه في بيروت. فطلب مني وزير التربية (2004) أن أدرب فريقًا وطنيًا على كيفية وضع منهاج خاص بهذه المقاربة، ثم كيفية تأليف دروس أو كتب لها، وتدريب معلمين لتدريسها. قمت بالجزئين الأولين، لكن اقترحت على الوزير أن يرسل المدرسات للتدرب في لبنان أو استقدام مدرّبين من لبنان لهذه الغاية، وهذا ما حصل. وانطلق المشروع تحت اسم "المنهج التكاملي"، وهو ناجح بشهادة كل من اطلع عليه وقام بتقييمه حيث تفوّق التلامذة الذين اتبعوه على زملائهم الذين درسوا المنهج المعتمد في التعليم الأساسي خصوصًا في مهارات اللغتين العربي والأنكليزية.

اللغة الأجنبية:

³ راجع فريجه، التربية الشمولية والتجربة اللبنانية.

لا تهدف التربية الكلية إلى تغييب أية لغة أخرى. إن اكتساب لغة أجنبية إلى جانب العربية هو ما تنص عليه المناهج المعتمدة في أكثرية الدول العربية، إن لم نقل كلها. كذلك يجب القول أن تعلم لغة أجنبية لا يتعارض مع تعلم اللغة الوطنية، وأحياناً يكون داعماً في اكتساب بعض المهارات. وإذا أخذنا اللغة الأنكليزية على سبيل المثال، نجد أنها أصبحت مطلباً هاماً للحصول على عمل خصوصاً في القطاع الخاص. وبما أن التربية هي إعداد المتعلم للحياة، فبات هذا دورها بإكسابه ما يساعده في الحصول على عمل. أما مبرر وجودها في مناهج هذه الحلقة هو لبناء أساس لغوي لدى المتعلم، ولتسهيل تعلمه مواد أخرى بالأنكليزية لاحقاً.

إن الضعف اللغوي في أية لغة يقف حاجزاً أمام المتعلم في فهم باقي المواد. فإذا لم يكن قادراً في هذه اللغة أو تلك، كيف له أن يستوعب المواد الدراسية ويقوم بواجباته فيها؟ وكما يعتقد "لفين"، فإن اللغة هي مكّون لا غنى عنه للقراءة والتهجئة والرياضيات والكتابة. إنها شريك حميم للذاكرة تساعد الطفل على ترجمة الحقائق والأفكار إلى كلمات، وبالتالي الإحتفاظ بالمعلومات⁴. كما يعتبر "بياجيه" أن اللغة تلعب دوراً كبيراً في تكوين المفاهيم لدى المتعلم وفي العمليات العقلية لديه.

متطلبات التربية الكلية:

إن الوسيلة لتحسين كفاءة المتعلمين في لغتهم الأم هي جعلهم يتكلمونها ويكتبونها ويعبرون شفويّاً وخطياً بواسطتها. فليس من السهل اكتساب هذه الكفاءات ما لم يفترن عمل المدرسة بسلسلة من الشروط أو المتطلبات التي تختصر بالآتي:

أ- توعية المعلمين على واقع التلامذة اللغوي خصوصاً في صفوف الحلقة الأولى من التعليم الأساسي.

ب- استيعاب المعلمين لفلسفة التربية الكلية وكيفية تركيزها على مقارنة شاملة لشخصية الطفل في عملية تعلمه. كذلك اعتبار نواحي شخصيته الفكرية والجسدية والاجتماعية والنفسية ككل، والتعامل معه على هذا الأساس.

⁴ ميل لفين (2002). لكل عقل موهبة، ترجمة سامر الأيوبي. بيروت: شركة الحوار الثقافي، ص166.

ج- تحضير منهاج لصفوف الحلقة الأولى. فهذه المقاربة مصممة لتلامذة الصفوف من الأول الأساسي حتى الرابع الأساسي.

د- إعداد معلمين للقيام بمهام التدريس لهذه الصفوف.

هـ- تدريب معلمين في الخدمة لتولي عملية التدريس هذه.

و- وضع كتاب من قبل فريق مدرّب نظراً لأن نوعية الكتاب للتربية الكلية يختلف عن باقي الكتب. فهو مؤلف من أنشطة ينفذها الأطفال بإشراف المعلم حيث لا تبقى لهم فرصة للهو أو السهو في أثناء تطبيق الدرس.

ز- الاعتماد على العمل الفريقي كجزء من أية استراتيجية تعليمية هذه المرحلة.

ح- تقييم عمل التلامذة والأنشطة التي ينفذونها، وتفاعلهم مع بعضهم البعض، ومدى انسجامهم في العملية التعليمية/التعلمية. ولا يتم الاكتفاء بتقييم العمل الكتابي أو الشفوي الذي يشكل جزءاً من الدرس، بل هناك تقييم لعمل التلميذ ضمن الفريق، ولتفاعله الاجتماعي مع غيره، ولوضعه النفسي في الصف، ولحركته الجسدية. إضافة إلى الهدف المباشر من التقييم، هناك هدف آخر وهو معالجة أية مشكلة يكتشفها المعلم عند تقييمه لتلامذته أكانت اجتماعية أو نفسية أو جسدية.

ط- المتعلم هو فعلاً (لا قولاً) محور العمل التربوي لأنه ببساطة هو من ينفذ الدرس من خلال مشاركته مع زملائه بحسب تصميم الدرس وطرائق التدريس المعتمدة.

الكتاب المدرسي:

هناك معايير لتأليف كتاب للتربية الكلية تختلف عن المؤلف، فنصوصه يجب أن تتضمن إلى جانب اللغة، عناصر من الدراسات الاجتماعية والعلوم والرياضيات والمهارات الحياتية... لذا من الصعب جلب نصوص لأدباء ومفكرين ووضعها كنصوص لدروس ثم وضع تمارين حولها كما هي الحالة غالباً، بل يجب تأليف دروس توضع ضمنها عناصر معرفية ترتبط بمواد دراسية أخرى، ثم بناء أنشطة

حولها. وهكذا يصبح النص والحصة الدراسية كناية عن أنشطة تنفذ في الفصل الدراسي من قبل المتعلمين بإشراف المعلم وتوجيهه. لذا تعتبر كفاءة المعلمين الذين سيتولون التدريس شرطاً أولياً لنجاح هذه المقاربة. وهذا نص كمثال عن دروس التربية الكلية وأنشطتها:

سامر في المزرعة

أخبر سامر زملاءه بما فعله يوم الإجازة فقال:

يملك عمي مزرعة على سفح الجبل حيث أخذنا والذي لقضاء يوم أمس هناك. وضعنا كل ما نحتاجه في السيارة، وانطلقنا الساعة الثامنة صباحاً.

جلست أمي إلى جانب أبي، بينما جلست أنا وأختي وأخي في المقعد الخلفي. وضع أبي وأمي حزام الأمان، وطلبنا منا أن نفعل ذلك أيضاً.

وصلنا المزرعة حوالي الساعة العاشرة، ورحنا نمشي بين الأشجار الخضراء. لقد غرسها عمي بشكل منظم بحيث تبدو كالتلاميذ في طابور الصباح. سألت عمي: كي فعلت ذلك؟ إنه منظر جميل! فأجاب: لقد تركت مسافة خمسة أمتار بين الشجرة والأخرى⁵.

يتضمن هذا النص الصغير عناصر من عدة حقول معرفية: لغة، رياضيات، دراسات اجتماعية، علوم، تربية مرورية، وبيئة. وهكذا ضمنا معارف نجدها منفصلة عادة في كتاب التلميذ، ضمناها في درس واحد حيث يمكن وضع عدد من الأنشطة حول الحقول المعرفية، وينفذها المعلم مع تلاميذه في الصف. وإذا أخذنا اللغة يستطيع المعلم استعمال النص لأي هدف من قراءة وكتابة وتعبير ونحو، وفي الرياضيات ينطلق مما ورد حول المسافات ليسهل على التلاميذ تعلم بعض المواضيع الحسابية مثلاً، فأيهما أسهل: أن نقول للتلميذ إن وحدة القياس هي

⁵نمر فريحه (2008). ص109.

المتر، أم ننتقل من المسافة التي تركها عم سامر بين الأشجار ليتعلم القياس والمسافات؟

وهذه الأنشطة تفرض في المدرسة أمرين: الأول عدم التقيّد بحصص لا تتجاوز الخمسين دقيقة لأن تنفيذ الأنشطة يحتاج إلى أكثر من ذلك، والثاني هي العمل الفرقي حيث يغلب هذا النوع من الأنشطة على تلك التي تتطلب عملاً فردياً. فإذا لم يكن نوع النشاط يفرض عمل التلميذ بمفرده، فيجب أن يكون جماعياً أو فرقياً لتحقيق أهداف أخرى غير المعرفية كأهداف التفاعل الاجتماعي، والنمو العاطفي والحركي، والمشاركة مع الآخرين.

من سيتولى التربية الكلية؟

إن تنفيذ هذه المقاربة في تعلم التلامذة بشكل ناجح ويحقق غاياتها، يرتبط بشكل كبير بتوفير معلم مدرب وكفوء لتولي قيادة هذه المهمة. فهو أولاً موجه أو مشرف أكثر منه مدرس محاضر. هناك تقنيات ترتبط بإدارة الصف وباستراتيجيات التدريس للتربية الكلية لا بدّ للمعلم من اكتسابها، والإقتناع بأن ما يقوم به هو نشاط نوعي يتطلب منه الصبر والمطالعة والمشاركة والإندفاع لأن الهدف هو مساعدة أطفال بلده ليتعلموا بشكل أفضل.

كما يُتوقع من المعلم ألا يتكلم مع تلاميذه سوى بواسطة اللغة الفصحى من اليوم الأول لدخولهم الصف، أو خلال تنفيذهم أي نشاط مهما كان نوعه، أو مناقشة أي موضوع يطرقونه. فهذه فرصتهم ليتمرنوا على مهارات اللغة وليتكلموا وليصح هو لهم إذا أخطأوا، ومن غير الجائز إضاعتها. لذا يكون الشرط الأول لمن ينضم إلى مجموعة تدريس التربية الكلية هو اتقانه اللغة العربية قراءة وكتابة وتعبيراً وتواصلًا. إذ لا يُتوقع منه أن يستعمل العامية في الصف لأي هدف، وإلا فإنه يساهم في إفشال الموضوع بأكمله. والشيء ذاته مطلوب من مدرس اللغة الأجنبية

بألا يستعمل اللغة العربية في الشرح والنقاش، بل أن يصر على تلاميذه باستخدام اللغة الأجنبية خلال حصصها كي يستطيعوا اكتساب مهاراتها.

وتجنبًا لأي التباس بين معلم التربية الكلية ومعلم الفصل، لا بد من شرح الفروقات بينهما. فمعلم الفصل تم وصفه كذلك عندما لم يتوفر في المدرسة معلمين متخصصين في مواد مختلفة لتدريسها، فتم التعويض عن ذلك بإيكال كل المواد في الفصل الواحد إلى معلم واحد. أما المعلم المختص بالتربية الكلية فهو يدرّس ما تضمنه كتاب التلميذ من لغة واجتماعيات وعلوم ورياضيات وبيئة ومهارات حياتية لأن عناصر هذه الحقول المعرفية ستتوفر في درس واحد أحيانًا. وقد تم تدريبه ليس على تدريس كل عنصر بمفرده، بل الجمع بين عناصر النشاط الواحد والدرس الواحد، وقيادة المتعلمين في تسلسل تقني للوصول إلى أهداف كل نشاط يعالجونه. وبما أن هذا المعلم ليس متوفرًا للقيام بمتطلبات التربية الكلية، أضحى تدريبه أثناء الخدمة أمر لا مفر منه في أي بلد يتبناها. وإذا تولّد اقتناع في اعتماد هذه المقاربة على صعيد الوطن ككل، عندها يجب أن تلحظ كليات التربية في مناهجها تخصصًا لتدريس التربية الكلية حيث يتم إعداد معلمين يتعاملون بشكل جيد وناجح مع مناهج جديد، وطرائق تدريس جديدة، وكتاب متعلم مختلف، ومتعلمين مختلفين.

المتعلم وموقعه في التربية الكلية:

إن المتعلم الذي يراوح سنه ما بين الخامسة والتاسعة، أو الموجود في الصف الأول وحتى الرابع أساسي هو هدف التربية الكلية. ومساعدته على تعلم اللغة العربية هو السبب في تطوير هذه المقاربة. فهو ليس مميزًا عن أمثاله، بل طريقة تعلمه تختلف عن طريقتهم. فهو فعلاً المحور الذي تدور حوله العملية التعليمية/التعليمية لأنه هو من سيقوم بتنفيذ الأنشطة التي تشكل محتوى المنهج ومحتوى كتابه.

وهذا التلميذ لن يكون أبدًا سلبيًا لأن تنفيذ الدروس لا يعطيه فرصة لذلك، بل هو مشارك من أول الحصة الدراسية حتى نهايتها. ولن يكون منطويًا على ذاته لأن

عليه العمل مع زملاء صفه لإنجاز المطلوب داخل قاعة الصف. ويؤمل أن يتم الانتباه له إذا ظهرت عليه بوادر مشكلة نفسية. كما تتضمن التربية الكلية تنميته جسدياً، وتنمية النواحي الفنية والجمالية لديه.

فالتربية الكلية هي للإهتمام بنمو الطفل منذ لحظة دخوله المدرسة وحتى إنهائه الحلقة الأولى من التعليم الأساسي بحيث تساهم في بناء قاعدة لغوية لديه تساعد على استعمال اللغة العربية بشكل خاص بطريقة سليمة، وفهم أية معلومة يتم شرحها بواسطة هذه اللغة، إضافة إلى اهتمام هذه المقاربة بنواحي شخصيته الأخرى. والشيء ذاته يقال عن تعلم اللغة الأجنبية ودورها.

المراجع

- فريحه، نمر (2003). التربية الشمولية والتجربة اللبنانية. بيروت: دار الإبداع.
- فريحه، نمر (2008). التربية الكلية للتعليم الأساسي. بيروت: دار الفكر اللبناني.
- لفين، ميل (2002). لكل عقل موهبة، ترجمة سامر الأيوبي. بيروت: شركة الحوار الثقافي.
- Decroly, J and Buyse, R (1965). **La Fonction de Globalisation et de L'Enseignement**. Liege: Desoer, (republished work).

